ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة(195)
هذا هو الحسين (ج٢٨)
ثأر الحسين السر الاعظم للرجعة العظيمة (ج٢)
الاحد : ١٣/محرم/١٤٤٣هـ - الموافق ٢٢/٨/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

هذا هو الجزءُ الثاني من العنوان الَّذي بدأتُ به في الحلقة الماضية؛ ثأرُ الحُسَينِ السرّ الأعظمُ للرّجْعَة العظيمة.
في كامل الزيارات/ طبعةُ مكتبة الصدوق/ طهران - إيران/ الباب التاسعُ والسبعون/ صفحة ٢١٣/ الحديث الأول، زيارةٌ من زياراتِ الحُسين، الزيارة الأولى عن إمامنا الصَّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه، ماذا نقرأ فيها؟
صفحة (٢١٤): "**وَأَنَّكَ ثَأْرُ الله فِي أَرْضه** - نُخاطبُ الحُسَين - **وَأَنَّكَ ثَأْرُ الله فِي أَرْضه حَتَّى يَسْتَثِيرَ لَكَ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِه**"، القضيّةُ إذا كانت شرعيّةً في بُعدها الشرعيّ المحض فقط، فما علاقةُ جميعِ الخلقِ بهذا الثأر؟ القضية تكوينيّةٌ، نحنُ لا نلمحُ أسرارها.
الفِطرة الَّتي عندنا مساحةُ الانكشاف فيها محدودةٌ جِدًّا، ليست كفطرةِ النُبوّة عند الأنبياء، الأنبياءُ يُدركون هذه التفاصيل قطعاً كُلُّ نبيٍ بحسبِ مساحة الانكشاف عندهُ في فطرة نُبوّته..
في ثقافة العترة الطاهرة صلواتُ الله عليها: ما من شيء إلَّا ولهُ إمام.
على سبيل المثال ممَّا جاء في رواياتهم؛ الماءُ إمامُ السوائل، إمامُ الأشربة، ولذا فإنَّه يتميّزُ عن كُلِّ السوائل من أنَّهُ طاهرٌ في نفسه مُطَهِّرٌ لغيره، وأيضاً إذا ما طرأت عليه النَّجاسةُ فإنَّهُ يُطهِّرُ نفسهُ بنفسه.
الماءُ صورةٌ سائلةٌ تكوينيّةٌ لولاية عليٍ، ولايةُ عليٍ هيَ الطهارةُ بذاتها، تُطَهِّرُ كُلَّ نَجَسٍ ونَجِس، تُكَمِّلُ كُلَّ نقصٍ وتُصلِحُ كُلَّ عيب، ولو طرأ عيبٌ في هذه الولاية من جهة حاملها، الولايةُ بما هي هي ليس فيها من عيب، لكن قد يطرأ عيبٌ في ولاية من يحمل تلك الولاية فإن الولاية ستُصْلِحُ ذلك العيب "لَا تَسْتَعْجِلُوا عَلَى أَوْلِيَاءِ عَلِيٍ فَلَرُبَّمَا زَلَّتْ لَهُم قَدَمٌ فَثَبَتَت لَهُم قَدَمٌ أُخْرَى"، هؤلاء الَّذينَ بايعوا بيعة الغديرِ وما نقضوها.
"**أَرْضٌ فِيهَا الإِمَام هِيَ إِمَامُ الأَرَضِين**"، هذه كلماتهم، حينما كانَ عليٌ في المدينة بعد رسول الله صلَّى اللهُ عليهما وآلهما فالمدينةُ إمامُ الأَرَضين، ولكن حينما رحلَ إلى الكوفة، فالكوفةُ إمامُ الأَرَضين، فأرضٌ فيها الإمامُ إمامُ الأَرَضين، ومقياسُ الأوقاتِ والعباداتِ بحسبِ الأرض الَّتي يكونُ فيها الإمام.
من هنا حينما أُجيبُ على الأسئلة الَّتي تُوجَّهُ إليَّ بشأنِ رُؤيةِ الهلال عودوا إلى أجوبتي فإنَّني أُقيِّدُ الموضوعَ بأرض الكوفة، لأنَّها أرضُ الحُجَّةِ بن الحسن، وأرضٌ فيها الإمامُ هي إمامُ الأرضَين.
الآيةُ الَّتي مرّت علينا من سورة الروم: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾، كيفَ فَسَّرها إمامنا الباقر؟ فَسَّر ذلك الفسادَ في سقيفة بني ساعدة، الإمامُ أقسم بالله من أنَّ ذلك قد تحقَّقَ حينما قالت الأنصارُ منَّا أميرٌ ومنكُم أميرٌ، فالفسادُ في مكانٍ محدود في أرض المدينة، فلماذا ظهرَ الفسادُ في البرِ والبحر؟ لأنَّ الفَساد ظهرَ في الأرض الَّتي هي إمامُ الأَرَضين بالنِّسبة للأرض، بالنِّسبة للكرة الأرضية هذا الكوكب فهي إمامُ الكواكب، فمُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد في هذا الكوكبِ، فهذا الكوكبُ إمامُ الكواكب، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد في هذه المَجموعة الشمسيّة فهذه المجموعة الشمسيّةُ إمامُ المجموعات الشمسيّة، ونحنُ في هذه المجرّة، فهذه المجرّةُ الَّتي فيها مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد في عاصمتهم في كوكبِ الأرض هي إمامُ المجرات.
صفحة (٢١٥) من نفس الزيارة الشريفة: **ضَمِنَت الأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا** - مَنْ عليها نحنُ - **دَمَكَ وَثَأْرَكَ يَا ابْنَ رَسُولِ الله** - فَتَرةٌ للحُسَيْن في أعناقنا، فهل الأرضُ تقع عليها مسؤوليّةٌ شرعيّةٌ؟ فقهيّةٌ؟ فتوائيّةٌ؟ هل هناك من مسؤوليّة سياسيّة أو اجتماعيّة أو أخلاقيّة على الأرض؟ إنَّها مسؤوليّةٌ تكوينيّةٌ.
-**أَشْهَدُ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالْقِسْطِ وَالعَدْلِ وَدَعَوتَ إِلَيْهِمَا وَأَنَّكَ ثَأْرُ الله فِي أَرْضه حَتَّى يَسْتَثِيرَ لَكَ من جَمِيعِ خَلْقه، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالْقِسْطِ وَالعَدْلِ وَدَعَوتَ إِلَيْهِمَا** - هذا هو الَّذي يرتبطُ بالجانبِ الشرعي، بالجانبِ الاجتماعيّ، بالجانبِ السياسي، بالجانبِ الأخلاقي، قولوا ما شئتم، لَكنَّ هذا يرتبطُ بواقعِ الأُمَّة فقط، هذا الخطابُ وجَّههُ الحُسَينُ للأُمَّة، لم يُوجِّههُ لجميع الخلائق لسائرِ الكواكب والنجوم للأرض كلّها، لأبناءِ البشرِ من غير المسلمين، هذا الخطابُ وجَّههُ للأُمَّة الَّتي تقولُ من أنَّها أُمَّةُ مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله.
وَأَنَّكَ ثَأْرُ الله فِي أَرْضه حتَّى يَسْتَثِيرَ لَكَ مِنْ جَمِيعِ خَلْقه - مَن الَّذين يُستثنون من هذه الاستثارة؟ الَّذين يُطهَّرون بالطهارة الحُسينيّة - **طَهُرْتَ وَطَهُرَت بِكَ البِلَاد** - البِلادُ الَّتي تَطْهُر بِك، والبلادُ في الحقيقة في أهْلِها، فالَّذين يَطْهُرونَ بك هؤلاء هم الَّذين سيخرجونَ من هذه القاعدة لن يستثير اللهُ منهم.
في الزيارة نفسها في صفحة (٢١٣): **وَأَنَّكَ ثَأْرُ الله فِي الأَرْضِ مِنَ الدَّمِ لَا يُدْرَكُ ثَأْرُهُ مِنَ الأَرْضِ إِلَّا بِأَوْلِيَائِك** - هؤلاء هم الَّذين يستثنون من القانون الَّذي مرّ علينا "من أنَّ الله يستثير للحُسَين من جميع خلقه"، الَّذين يثأرون للحُسَين، وفي زمانِ الغَيبةِ الَّذين يُمهِّدون لثأرِ الحُسَين، أمَّا البقيّةُ فلابد أن يستثيرِ اللهُ منهم، قضيّةٌ تكوينيّةٌ عميقةٌ وعميقةٌ جِدًّا.
ثُمَّ تُبَيِّنُ لنا الزيارة مثالاً من أمثلة التطهُّر بالتمهيد لثأرِ الحُسَين: "**اللَّهُمَّ حَبِّب إِلَيَّ مَشَاهِدَهُم وَشَهَادَتَهُم**"، حَبِّب إليّ مَشَاهِدَهُم؛ المشاهدُ هي الأماكن الَّتي تُنْسَبُ إليهم، يتواجدون فيها، يحضرون فيها، هذه هي المشاهد، وشهادتَهُم حضورهم، إنَّهم يحضرون عندنا، الرواياتُ حدَّثتنا بذلك، أنا لا أستطيعُ أن أشرح كُلَّ شيء في وقت واحد.
اللَّهُمَّ حَبِّب إِلَيَّ مَشَاهِدَهُم وَشَهَادَتَهُم حتَّى تُلْحِقَنِي بِهِم وَتَجْعَلَنِي لَهُم فَرَطاً - أتعلمون ما المراد من الفَرَط؟ الفَرَطُ والفَارِطُ؛ هو الَّذي يسبقُ قومه كي يهيّئ لهم المكان، هذا هو التمهيدُ الَّذي أحدِّثكم عنه ، تارةً بالبحث عن الماء والكلأ، هذا الَّذي يُقال لهُ الرائد، الَّذي يرود الطريق قبل قومه كي يجد لهم مكاناً مناسباً كي يستقروا فيه - **وَتَابِعاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة** - في الدنيا أن أكون لَهم فَرَطاً لهم في زمان غيبتهم، وأن أكون تابعاً لهم في يومهم الأوَّل في يوم القائم أو في يومهم الثاني في يومِ الكرة، وأن أكون معهم في يومهم الثالث في يوم القيامة الكبرى.
حديثٌ يهزُّ القَلب:
المتحدِّثُ أبو ذرٍ رضوان الله تعالى عليه، في زمنٍ حسّاسٍ جِدًّا بالنسبة لأبي ذرّ، إنَّهُ في اليومِ الَّذي أخرجهُ عثمان بنُ عفّان إلى الرّبذة، يُحدِّثُ النَّاسَ عن الحُسَين، في ذلك اليوم!

في (كاملِ الزيارات)، لشيخنا ابن قولويه رضوان الله تعالى عليه، الطبعة الَّتي أشرت إليها قبل قليل، البابِ الثالث والعشرين، الحديث الحادي عشر: **بسنده، عَن عُروة بنِ الزُّبَير، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرّ وَهُوَ يَوْمَئذ قَدْ أَخْرَجَهُ عُثْمَانُ إِلَى الرَّبَذَة، فَقَالَ لَهُ النَّاس: يَا أَبَا ذَرّ أَبْشِر فَهَذَا قَلِيلٌ فِي الله تَعَالَى** - لا شأنَ لنا بالنَّاس، إذاً لماذا لم تنصروا أبا ذرّ؟! هم لم ينصروا عَليا!! لا شأن لنا بهم.

-**فَقَالَ** - أبُو ذَرّ - **مَا أَيْسَرَ هَذَا وَلَكِن كَيفَ أَنْتُم إِذَا قُتِلَ الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ قَتْلاً، وَالله لَا يَكُونُ فِي الإِسْلامِ بَعدَ قَتْلِ الحُسَينِ أَعْظَمُ قَتْلاً منه** - أبو ذرّ يقرأ تعزيةً مُصيبةً في يومِ إخراجه إلى الرَبذة - **وَإِنَّ اللَهَ سَيَسِلُّ سَيْفَهُ عَلَى هَذه الأُمَّة** - قطعاً بالأسبابِ "الظَّالم سيفي" - **لَا يُغْمدُهُ أَبَداً وَيَبْعَثُ نَاقماً من ذُرِيَّته** - يُشير إلى إمامنا القائم - **وَيَبْعَثُ نَاقَماً من ذُرِيَّته فَيَنْتَقِمُ من النَّاس** - إنَّهُ المنتقم من آلِ مُحَمَّد، المنتقمُ لحقِّ اللَه - **وَإِنَّكُم لَوْ تَعْلَمُونَ مَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ البِحَارِ وَسُكَّانُ الجِبَالِ فِي الغِيَاضِ وَالآكَامِ وَأَهْلِ السَّمَاء مِنْ قَتْله** - لو تعلمون ماذا سيجري من أثرٍ تكويني - **لَبَكَيْتُم وَالله حَتَّى تَزْهَقَ أَنْفُسُكُم** - لكنَّنا لا نعلمُ ذلك، إنَّما نأخذُ العلم به من سادةِ التكوين، مثلما أخذهُ أبو ذرّ وربَّما تحسَّس بشيءٍ من هذه المضامين، فأبو ذر في آخرِ أيَّامه بلغَ الدرجة العاشرة في الإيمان، إنَّها الدرجة الَّتي كانَ سلمانُ عليها أيَّامَ رسول الله.

-**وَمَا مِنْ سَمَاء يَمُرُّ بِه رُوحُ الحُسَيْنِ إِلَّا فَزِعَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْف مَلَك يَقُومُونَ قِياماً تَرْعُدُ مَفَاصِلُهُم إِلَى يَومِ القِيامَة، وَمَا مِنْ سَحَابَة تَمُرُّ وَتَرْعَدُ وَتَبْرَق إِلَّا لَعَنَتْ قَاتِلَهُ، وَمَا مِن يَومٍ إِلَّا وَتُعْرَضُ رُوحُه عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِه فَيَلْتَقِيَان** - هل الحديثُ هنا عن جانبٍ شرعي؟ إنَّهُ التكوين التكوين التكوين.

هذه أسرارُ عاشوراء، وهذه أسرارُ الظهورِ المهدويّ، وأسرارُ الرَّجْعَةِ العظيمة، إنَّهُ التكوين، هذه حقيقةُ حديثِ الكساءِ اليمانيّ الفَاطِميّ الَّذي يُضعِّفهُ غُبرانَ النَّجف..

في سورة مريم وبعد البسملة مباشرةً: ﴿**كهيعص** - بحسب السورة في الآية الَّتي بعدها - **ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**﴾، فزكريَّا النَّبيّ هذا هو ذكرهُ: "**كهيعص**".

سأذهبُ إلى إمامِ زماننا كي يُفسِّر لنا هذا المضمون، هذه الرموز، صادق العترة يقول: "**نَزَلَ القُرآنُ عَلى أربَعَة أَشْيَاء؛ عَلَى العِبَارَة وَالإِشَارَة وَاللَّطَائف وَالحَقَائق، فَأَمَّا العِبَارَةُ فَلِلْعَوام، وَأَمَّا الإِشَارَةُ فَلِلْخَوَاص** - الإشارةُ نوعٌ من أنواعِ الرموز - **وَأَمَّا اللَّطَائفُ فَلِلأَوْلِيَاء، وَأَمَّا الحَقَائقُ فَلِلأَنْبِيَاء**"، والحقائقَ رموزٌ بحسبِ الأنبياء، واللَطائف رموزٌ بحسب الأولياء، والإشارات رموزٌ بحسبِ الخواص، أمَّا العبائرَ فهي العبائر، هذا هو الَّذي نحنُ ندركه.

روايةٌ عن سعد الأشعري رضوان الله تعالى عليه، روايةٌ طويلةٌ أذهبُ إلى موطن الحاجة منها الَّذي يرتبطُ بما جاء بخصوص ذكرِ النَّبيّ زكريَّا؛ "**كهيعص**"، سعدٌ الأشعري وصل إلى سامراء أيَّام إمامنا الحسنِ العسكري، وعَرَضَ على الإمام العسكري أسئلتهُ، قال عندي أسئلةٌ، فإمامنا العسكري أمَرَ سَعْداً أن يأخذ الأجوبة من إمامه الحُجَّة بن الحسن، فإمامنا الحُجَّةُ بنُ الحَسَن وكان صغيراً آنذاك أيَّام إمامة أبيه هو الَّذي أجابَ على أسئلة سعد الأشعري، سؤالٌ يرتبطُ بـــ(**كهيعص**)، الَّذي هو ذكر زكريّا النَّبي؛ **قُلْت** - سعدٌ يقول، أقرأ عليكم من المصدر الأصل لهذه الرواية (كمالُ الدين وتمام النعمة) لشيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه المتوفّى سنة ٣٨١ للهجرة، توفّي سعدٌ الأشعري سنة ٣٠١ للهجرة، وهو من أصحابِ الأئمَّة صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، وكان أستاذاً لوالد الشيخ الصدوق، فالصدوقُ هنا يُحدِّثنا عن شخص قريبٍ جِدَّاً من أبيه، هو أستاذهُ وشيخهُ.

-**قلتُ فَأَخْبِرْنِي يَا ابْنَ رَسُولِ الله عَنْ تَأْوِيل "كهيعص"؟ قَالَ: هَذه الحُرُوفُ مِنْ أَنْبَاء الغَيْب** - يعني رموز - **أَطْلَعَ اللهُ عَلَيْهَا عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ثُمَّ قَصَّهَا عَلَى مُحَمَّد** - في قُرآنه في سورة مريم - **ثُمَّ قَصَّهَا عَلَى مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآله، وَذَلكَ أَنَّ زَكَرِيَّا سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ أَسْمَاءَ الخَمْسَة فَأَهْبَطَ عَلَيه جَبْرَائيل فَعَلَّمَهُ إِيَّاهَا، فَكَانَ زَكَرِيَّا إِذَا ذَكَرَ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَالحَسَن وَالحُسَين** - هذا هو المطبوع، وهذه زيادةٌ في الطبع، الَّذي يُفترضُ من أنَّ النَّصّ: " **وَذَلكَ أَنَّ زَكَرِيَّا سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ أَسْمَاءَ الخَمْسَة فَأَهْبَطَ عَلَيه جَبْرَائيل فَعَلَّمَهُ إِيَّاهَا، فَكَانَ زَكَرِيَّا إِذَا ذَكَرَ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَالحَسَن**" لأنَّ هذا سيبدو من سياق الرواية، أما كلمة "الحُسين" هنا فهي زائدة طباعةً.

-**فَكَانَ زَكَرِيَّا إِذَا ذَكَرَ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَالحَسَن سُرِّيَ عَنْه هَمُّهُ وَانْجَلَى كَرْبُه، وَإِذَا ذَكَرَ الحُسَينَ خَنَقَتْهُ العَبْرَة وَوَقَعَت عَلَيه البُهْرَة** - ويمكن أن تكون "ووَقَعَت عَلَيه البَهْرَة"، فالبُهْرة والبَهْرَةُ المعنيانِ مُتقاربان، لكن الأرجح هو "البُهْرَة"، البُهْرَة حالةٌ من الإعياء والتعبِ بسببِ تقطُّعٍ في النَّفس، فيقال فلانٌ أصابته البُهْرَة، وإنَّما تكونُ هذه الحالةُ بسببِ الحُزنِ أو بسببِ ألمٍ شديد، أو بسببِ جُهدٍ كبيرٍ قد بذلهُ الإنسان ممَّا أدّى إلى تعبه وإعيائه.

-**فَقَالَ ذَاتَ يَوْم: يَا إِلَهِي مَا بَالِي إِذَا ذَكَرْتُ أَرْبَعَاً منْهُم** - يعني مُحَمَّداً وعليّاً وفَاطِمَةَ والحَسَن - **تَسَلَّيْتُ بِأَسْمَائهم منْ هُمُومِي، وَإِذَا ذَكَرْتُ الحُسَيْنَ تَدْمَعُ عَيْنِي وَتَثُور زَفْرَتِي** - هذه إشاراتٌ إلى قضيَّةٍ تكوينيَّة، فالحادثةُ لم تكُن قد وقعت في زمانِ زكريَّا، ولكن لأنَّ زكريَّا نبيّ فطرةُ النُّبوَّة عندهُ تفتح لهُ نافذةً للتواصل مع التكوين وأسراره، قضيةُ الحُسَينِ عميقةٌ جِدَّاً، تتجاوزُ أبعادَ التاريخ وأبعادَ الزَّمانِ والمكان، هناكَ طبقةٌ في ما ورائيَّات المادَّة يكونُ الزمان فيها صفراً ليس هناك من زمان.

فالَّذي كانَ يجري على زكريَّا لا من جهة تشريعيّة، ولا من جهة اجتماعيّة، هذه قضيَّةٌ تكوينيَّةٌ، زكريَّا يرتبطُ بهذه الأسماء الَّتي يرتبط التكوينُ بها، فأصحابُ الأسماء لم يكونوا موجودين في زمان زكريَّا بمظهرٍ بشريٍّ مُشخَّص عند بني إسرائيل، وإنَّما هذه الأسماءُ تُشيرُ إلى الحقائقِ المقدَّسة والقادسة لأصحابِ هذه الأسماء والَّذين خُلق الكون لأجلهم وفي محبّتهم وارتبطَ التكوينُ بهم، وهذا نبيّ فطرتهُ النَّبويَّةُ تسمحُ لهُ أن يتواصلَ مع حقائقَ التكوين، من هنا كان هذا التواصل، وكان هذا التفاعل، وكانت حالة البُهْرَة الَّتي تقعُ عليه حينما يذكرُ الحُسَين.

أستمر في قراءة الحديث: **فَأَنْبَأَهُ اللهُ تَعَالَى عن قصَّته وَقَالَ:" كهيعص"** - بنحوٍ مرموز - **فَالكَافُ** - كما يقول إمام زماننا - **فَالكَافُ؛ اسْمُ كَرْبَلاء، وَالهَاءُ؛ هَلَاكُ العِتْرَة، وَالياءُ؛ يَزِيد وَهُو ظَالمُ الحُسَين، وَالعَينُ؛ عَطَشُه** - عطشُ الحُسَين - **وَالصَّادُ؛ صَبْرُه** - صبر الحُسَين - **فَلَمَّا سَمِعَ ذَلكَ زَكَرِيَّا لَم يُفَارِق مَسْجِدَهُ ثَلَاثَة أَيَّام وَمَنَعَ فِيهَا النَّاسَ من الدُّخُول عَلَيه وَأَقْبَلَ عَلَى البُكَاء وَالنَّحِيب.**

في سورة مريم، الآية العاشرة بعد البسملة: ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ۝ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِه مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً**﴾، الآياتُ فيها إشارات ورموز، والرواية أيضاً فيها إشاراتٌ ورموز.

-**وَأَقْبَلَ عَلَى البُكَاء وَالنَّحِيب، وَكَانَت نُدْبَتُهُ إِلَهِي أَتَفْجَعُ خَيرَ خَلْقكَ بِوَلَده، إِلَهِي أَتُنْزِلُ بَلوَى هَذه الرَزِيَّة بِفِنَائه، إِلَهِي أَتُلْبِسُ عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ ثِيَابَ هَذه المُصِيبَة، إِلَهِي أَتَحِلُّ كُرْبَةُ هَذه الفَجِيعَة بِسَاحَتِهِمَا، ثُمَّ كَانَ يَقُول: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي وَلَداً تَقَرُّ بِه عَيْنِي عَلَى الكِبَر وَاجْعَلهُ وَارِثاً وَصِيّاً وَاجْعَل مَحَلَّه مِنِّي مَحَلَّ الحُسَين، فَإِذَا رَزَقْتَنِيه فَأَفْتِنِّي بِحُبِّه ثُمَّ فَجِّعْنِي بِه كَمَا تُفَجِّعُ مُحَمَّداً حَبِيبِكَ بِوَلَده، فَرَزَقَهُ الله يَحيَى وَفَجَّعَهُ بِه وَكَانَ حَمْلُ يَحيَى سِتَّةَ**

أَشْهُر وَحَمْلُ الحُسَينِ كَذَلك، وَلَهُ قصَّةٌ طَوِيلة - "ولهُ قصَّةٌ طويلة"، هذا كلامُ إمام زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه، يعني أنَّ الحديث كان موجزاً مثلما قلت لكم: بلسانِ المداراة والمقاربة، القضيّة كبيرةٌ، وعميقةٌ جداً، لا تستمعوا إلى هؤلاء الأغبياء الَّذين يستهزئون بحديثِ إمامِ زماننا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه، القُرآنُ فيهِ رموزٌ، ومن جُملةِ رُموزِ القُرآنِ الحروفُ المقطَّعةُ في أوائل السور.

في سورة الصافات، الآية الثامنة والثمانين بعد البسملة والَّتي بعدها في سياق قصّة إبراهيم النَّبي: ﴿**وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾، إلى أن تقول الآيات: ﴿**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ** - مَن هُو؟ إبراهيم - **فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ هُناكَ من يفهمُ ما جاء في هذه الآية بعلمِ التنجيم، علمُ التنجيمِ الَّذي عند النَّاسِ ما هو من عُلومِ الأنبياء، الحديثُ هنا عن النجوم؛ هذا من علوم الأنبياء بسببِ أنَّ الفطرةَ النَبويَّة على تواصلٍ مع أسرارِ التكوينِ بحسبِ كُلِّ نبي ومرتبته، هذه قراءةٌ في التكوين.

في الكافي الشريف/ الجزء الأول/ طبعة دار الأسوة/ طهران - إيران/ صفحة ٥٢٨/ الحديث الخامس من باب مولد الحُسَينِ بنِ عليّ، عن إمامنا الصَّادق صلواتُ الله وسلامه عليه؛ **فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: " فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ"** - ماذا يقول إمامنا الصّادقُ عن إبراهيم النَّبي؟ - **قَالَ؛ حَسِبَ فَرَأَى مَا يَحِلُّ بِالْحُسَيْنِ** - هذه "حَسِبَ" ليس المرادُ منها حساباتُ المنجمين، فالمنجمونَ في حساباتهم لا يرون الأشياء كما هي، الإمام يقول: **حَسِبَ فَرَأَى مَا يَحِلُّ بِالْحُسَيْنِ، فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ** - إنِّي سقيمٌ لما يحلُّ بالحُسَين، في الروايات من أنَّ إبراهيم قال إنِّي سَقيمٌ قالها للناس ما قالها لنفسه، لأنَّهُ حين اطّلع على الَّذي سيجري على الحُسين أصابهُ ما أصابَهُ، لم يكن في حالة طبيعيّة، فحينما يسألهُ النَّاسُ عن حاله يقولُ إنِّي سَقيم، ولذا جاء في أحاديثهم: (من أنَّ قول إبراهيم: "إنِّي سَقيم" مصداقٌ من مصاديق التقيّة في الكلام، لأنَّهُ قالهُ للَّذينَ سألوه)، إنَّنا نَراكَ في وضعٍ مضطرب؟! في حالة غريبة؟! هذا الوضعُ المضطرب والحالة الغَريبةُ الَّتي طرأت على إبراهيم، لأنَّه قد اطّلع على الَّذي يجري على الحسين، في زمان إبراهيم لم تكن الحادثةُ قد وقعت، لو كانت الحادثةُ سياسيَّةً اجتماعيّةً شرعيّةً زمانيّةً مكانيّةً محدَّدةً بظروف بشريّة معينة كبقيّة الحوادث لَما كان لها هذا التأثير.

الإمام يقول عن إبراهيم الخليل - **حَسِبَ فَرَأَى مَا يَحِلُّ بِالحُسَين فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ لِمَا يَحِلُّ بِالْحُسَينَ** - هذا في مطلعِ من المطالع، وإلَّا فهذه الآيات لها مطالع ومجاري.

﴿**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ**﴾، يعني هو في عالمٍ والنَّاسَ في عالم، وهذه هي الحقيقةُ نفسها الَّتي أتحدَّث عنها؛ فآلُ مُحمَّدٍ وفكرهم وثقافتهم في جهة، ومراجعُ النَّجف وكربلاء وشيعتهم في جهة أخرى، هذا المنطقُ منطقٌ مرفوضٌ عند مراجع حوزة الطوسي.

في سورة الواقعة، الآية الخامسة والسبعين بعد البسملة وما بعدها: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** - إذا أردنا أن نستمر - **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ**﴾، إلى بقيّة الآيات أذهب إلى موطن الحاجة فقط لضيق الوقت.

ما المرادُ من النجوم؟ من مواقعها؟

في الجزء ا لثالث من كتاب (فقيهُ من لا يحضرهُ الفقيه) لشيخنا الصدوق/ طبعةُ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قم المقدَّسة/ صفحة ٣٧٧/ بابُ الكفَّارات/ الحديثُ الرابعُ والخمسون: **عَنِ الْمُفَضَّلِ بنِ عُمَر الجُعفي، قَالَ: سَمِعتُ أَبَا عَبد الله** - إمامنا الصادق صلواتُ الله عليه - **يَقُول: فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: " فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ"؛ يَعنِي بِهِ اليَمْينِ بِالْبَرَاءَة مِنَ الأَئِمَّة عَلَيهِم السَّلَام يَحلِفُ بِهَا الرَّجُل يَقُول** - مَن الَّذي يقول؟ إمامنا الصَّادق - **إِنَّ ذَلِكَ عِندَ الله عَظِيم** - هناك نهيٌ شديدٌ وأكيدٌ أن يقسم الشيعي بالبَراءة من الأئمَّة.

أقرأ لكم روايةً على سبيل المثال من المصدر نفسه، صفحة (٣٧٥)، رقم الحديث (٤٥): **الإمام الصَّادق يقولَ ليونس بن ظبيان: يَا يُونُس، لَا تَحْلف بِالْبَرَاءَة منَّا فَإِنَّهُ مَن حَلَفَ بِالْبَرَاءَة منَّا صَادِقاً كَانَ أو كَاذِباً فَقَد بَرِئ منَّا** - كلامٌ خطيرٌ هذا، لا يوجد مثلُ هذا القَسَم في أيَّامنا، لكن في زمان الأئمَّة كان موجوداً.

موضوعنا ليس عن الحلف وعن اليمين، وإنَّما جئتُ بهذا شاهداً على أنَّ هذا الرمز هذا العنوان "النُّجوم" مرتبطٌ بمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، " **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**" ، "**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ**"، في مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، لا علاقة لهذا بعلمِ التنجيم، الكلامُ مُرتبطٌ بقراءة تكوينيّة.

- **هناك قضيّةٌ لابُدَّ أن نلتفتَ إليها:**

فهل الأصلُ في وجودنا وفي حياتنا التشريعُ أو التكوين؟

الأصلُ التكوين، التشريعُ خارطةُ طريقٍ كي نتوائم مع المسار التكويني، الأنبياءُ حينما يُقدِّمون لنا الشرائعَ والأحكام والسّنن الَّتي يُعبّرُ عنها بالأديان أساسُها وملاكَاتُها أمورٌ تكوينيّةٌ، عقائدنا إذا أردنا أن نُبحر في أغوارها فإنَّها سترجعنا إلى أسرارِ التكوين، أحكامنا وفتاوانا إذا أردنا أن نبحث عن عللها وعن حكمتها فإنَّها ستقود نا إلى سُنن التكوين، هناك ما ينفعنا وهناك ما يُسبّب الضرر لنا، وهكذا تتشكَّلُ ملاكَاتُ الأحكام، وحتَّى العباداتُ إنَّها رموزٌ وإشاراتٌ إلى حقائق إذا أردنا أن نُحلِّل تفاصيلها ستأخذنا إلى التكوينِ تارةً في عالمِ الغيبِ وتارةً في عالمِ الشهادة.

فإنَّ مسار الخلقِ مسارٌ تكوينيّ وليس مساراً تشريعياً، التشريعُ يأتي في حاشية التكوين، ولذا إذا أردنا أن نفهمَ حقائقَ الدين الكُبرى لن نستطيعَ أن نفهمها في سياقِ التشريع، علينا أن نفهمها في سياقِ التكوين، فإذا أردنا أن نفهمَ عقائدنا وفقاً لثقافة العترة الطاهرة الَّتي أسَّست هذه البَديهَة من أنَّ الكون بكُلِّه خُلقَ لأجلهم ومن أنَّ الكونَ بكُلِّه خاضعٌ لسُلطتهم، فإذا أردنا أن نفهمَ تفاصيلَ الدين علينا أن نفهم ذلك وفقاً لهذهَ الرؤية الَّتي أوجزتها لكم، وإلَّا فالحديثُ في أعماقها وأغوارها سيكون طويلاً وطويلاً وطويلاً جداً.

سورة نوح فيها إشاراتٌ واضحةٌ للترابط بين التشريع والتكوين، مثلاً؛ في الآية الثالثة بعد البسملة والَّتي بعدها، نُوحٌ النَّبيّ يقول لقومه: ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ** - هذا نظامُ دينٍ، هذه خارطةُ طريقٍ، هذه شريعةٌ، هذا بيانٌ نوحٍ النَّبي لقومه. ماذا يترتّب على هذا؟ - **يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ** - هذه القضيّةُ جزاء، ثوابٌ، يترتَّب على الالتزام بمنظومة الدين، وماذا بعد؟ - **وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾، هذه قضيّةٌ تكوينيّةٌ، هذه قضيّةٌ مرتبطةٌ بعلاقة الروح بالجسد، مرتبطةٌ بجهاز المناعة عندَ الإنسانَ في مواجهة الأمراض، مرتبطةٌ بقُدرة أجهزة جسمِ الإنسانَ على تلقّي الطعام والشرابِ وهضمه بشكلٍ صحيح وتحويله إلى طاقةٍ تكونُ مُناسبةً لحاجة خلايا جسمِ الإنسان، إلى الكثيرِ والكثيرِ من هذه الأمورِ التكوينية المحضة الَّتي لا علاقة لها بالتشريع.

- **إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ﴾**، ولكن بسببِ التزامكم بالمنهج الدينيّ فإنَّهُ سيُؤخِّرُ آجالكم إلى وقتٍ آخر، هذا هو قانونُ البداء، وهو أقوى قوانينِ عالمِ التكوين، إنَّني أتحدَّثُ في ضوء معارف وحقائقِ ثقافةِ العترةِ الطاهرة.

- **إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**.

ثُمَّ ماذا يقولَ في السورة نفسها؟: ﴿**فَقُلْتُ** - نوحٌ يُخاطِبُ رَبَّه ويُحدِّثهُ بالَّذي فعلهُ مع قومهِ وماذا قال لهم، وماذا فعلوا هُم - **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾**، هذا جزءٌ من منظومة الدِّين.

ماذا يترتّبُ على ذلك؟: ﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾**، هذه قضيّةٌ تكوينيّة، الاستغفار أمرٌ دينيّ، والاستغفارُ قد يكونُ قولياً وقد يكون فعلياً، لكنَّهُ في آخر أمره شأنٌ دينيّ - **وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ** - هذا أمر تكويني أيضاً - **وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾**، هذه أمورٌ تكوينية.

فالدينُ لا ينفكُّ عن التكوين، في عقائده، في عباداته، القُرآن من أوَّله إلى آخره يُؤكِّدُ هذه الحقيقة، هناك ارتباطٌ وثيقٌ فيما بين التشريع والتكوين، لكنَّني أتحدَّثُ عن التشريع الصحيح هو تشريعُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، فمشاريعُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ترتبطُ بالتكوين، إن كانت صغيرةً كأحكامٍ تتعلَّقُ بي أو بكم، أو كانت كبيرةً كأمرٍ يرتبطُ بالحُسَين الَّذي هُوَ الحُسَين، ما هي هذه حقائقُ القُرآن.

-**مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً** - هذا الوقارُ في الدِّينِ - **وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾**، خلقكم على طبقاتٍ، مررتم في مُختلفِ العوالمِ السَّابقة، مررتم بما مررتم به من الأحوالِ والأهوال، ما قبل مرحلة الأصلابِ وما بعد مرحلة الأصلاب.

﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ۞ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ۞ وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ۞ وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً ۞ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾** ، هذه الحقائق التكوينيّة بيّنها نوحٌ لقومهِ يريد أن يقول لهم: من أنَّ التشريع يأتي في سياقِ هذا التكوينِ العظيم، وتلك هي حقائقُ الدين، تلك هي حقائق وجودنا.

أُحبُّ أن ألفتَ أنظاركم إلى أنَّ نوحاً النَّبي كان في زمانه يُمثِّلُ القَائمَ الثَّائرَ المُنْتَقم، فمنذُ مقتلِ هابيل والمؤمنون ينتظرونَ مجيء نوح، وكانوا في كُلِّ سَنَة يجتمعونَ في يومٍ من الأيَّامِ يُخصِّصونهُ للحديثِ عَن علاماتِ ظُهورهِ وعن الأحداثِ الَّتي ستقع وعن الطوفان وعن المجرياتِ المختلفة.

طُوفَانُ نوح عمليةٌ تطهيرٍ كونيةٍ بالماء.

أمَّا طُوفانُ الحُسَين عمليَّةُ تطهيرٍ بالدِّماءِ الـمُحَمَّديَّة.